صلة القيروانيين بالمدينة المنورة حتى القرن الخامس للهجرة

أ. د. الحسين بن محمد شواط

شبكة الألوكة
www.alukah.net

صلة القيروانيين بالمدينة المنورة حتى القرن الخامس للهجرة

د. الحسين شواط

بحث مقدم إلى ملتقى

القيروان مركز علمي مالكي بين المشرق والمغرب حتى القرن الخامس للهجرة

مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان
الجمهورية التونسية

أفريل 1994

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بسم الله الرحمن الرحيم

صلة القيروانيين بالمدينة المنورة

(من الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري)

د. الحسين شواط

أستاذ بالجامعة العالمية -ماليزيا

سأستهل ورقتي بمقدمات مختصرة أعتبرها مدخلا لبحث التواصل العلمي بين المركزين الأول والثاني للمذهب المالكي في هذه الفترة ، فأتحدث عن مكانة القيروان ، ووضعها قبل ظهور المذهب المالكي ، ثم باعتبارها المركز الثاني للمذهب المالكي ، وأخلص بعد ذلك إلى الكلام على الصلة بين المدينة المنورة والقيروان في عصور ازدهارها .

أولا- مكانة القيروان

تبوأت القيروان مكانة سامية لدى المسلمين في المشرق والمغرب ، واكتسبت كثيرا من الاحترام والتعظيم في نفوسهم ،لتأسيسها على يد الصحابة الكرام ، ودعائهم لها، والكرامات التي ارتبطت ببنائها ، وكونها منطلق جيوش الفتح ، وقاعدة الإسلام في إفريقية والمغرب والأندلس ، بالإضافة إلى تشرّفها بأول مسجد بني في تلك الديار ، وعدم عبادة غير الله فيها ، فقصدها الناس من الآفاق، ونبل أهلها بالعلم وسمو الأخلاق ، وكثر فيها الفقهاء والمحدثون والقراء والمفسرون والشعراء والعباد والحذاق ، وسرعان ما أضحت عاصمة بلاد المغرب السياسية والعلمية والدينية بلا منازع فسبحان الواهب الخلاق .

بهذا وغيره تهيأت القيروان لدور الريادة ، وقد لهج المؤلفون القدامى بذكر فضلها على باقي بلاد المغرب ، وسأترك لهم وصف منزلتها فإن في عباراتهم نداوة وفي أساليبهم بلاغة وطراوة :

قال صاحب المعالم (١): « أما القيروان فهي البلد الأعظم ، والمصر المخصوص بالشرف الأقدم ، قاعدة الإسلام والمسلمين بالمغرب ، وقطرهم الأفخر ، الذي أصبح لسان الدهر عن فضله يعرب، وبشرفه يغرب ، قرارة الدين والإيمان ، والأرض المطهرة من رجس الكافرين وعبادة الأوثان ، قبلتها أول قبلة رسمت في بلاد المغرب ، وسجد لله فيها سرا وعلانية ، وناهيك بأرض كانت منازل أصحاب نبينا صلى الله عليه وسلم ومحط رحالهم ... مصرا مؤسسسا على التقوى إلى يوم الدين ، دار هجرة المغرب والتربة المقدسة التي

١- معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ٦/١ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ضمت شعر المصطفى ، فأصبحت قسيمة يثرب (١) ... رابعة الثلاثة : المدينة ومكة وبيت المقدس والقيروان ... » .

- وقال أبو إسحاق الجبنياني : « القيروان رأس وما سواها جسد ، وماقام برد الشبه والبدع إلاأهلها ، ولاقاتل وقتل على إحياء السنة إلا أئمتها » (٢) .

- وقال ابن الشباط (٣) : « ولم يزل بها على الزمان من العلماء والكتاب وذوي البراعة في المعارف والآداب من تزدان بأوصافه الأقطار وتشرق بأنوار كلامه الأسطار » (٤) .

- أما مقديش فقد ذكرأنها : « منبع الولاية والعلوم ، فهي لأهل المغرب أصل كل خير ، والبلاد كلها عيال عليها ، فما من غصن من البلاد المغربية إلا منها علا ، ولافرع في جميع نواحيها إلا عليها ابتنى ، كيف لا ومنها خرجت علوم المذهب ، وإلى أئمتها كل عالم ينسب ... ولاينكر هذا خاص ولاعام ، ولايزاحمها في هذا الفضل أحد على طول الأمد والأيام » (٥) .

ثانيا- القيروان قبل ظهور مذهب مالك :

لقد وجدت بالقيروان في فترتنا هذه مذاهب متعددة ، وفرق متنوعة ، راح كل منها يدافع عن كيانه ، فظهرت المناظرات في عدة مسائل علمية في الفقه والعقيدة ، وخصصت المؤلفات للرد على الخصوم ، فنتج عن ذلك صراع فكري أدّى إلى إثراء الحياة العلمية ، ودام الصراع عدة قرون انتهى بتبني إفريقية لعقيدة أهل السنة والجماعة في الأصول ، أما في الفروع فقد انتصر المذهب المالكي على غيره من المذاهب التي تلاشت مع الزمان .

وقبل ظهور مذهب مالك كان أهل القيروان وسائر الأفارقة من حيث الجملة يستمدون فقههم من علوم الرواية، حيث تلقوا ذلك ابتداء على أيدي الصحابة والتابعين الذين علموهم القرآن واللغة العربية ومبادئ الإسلام ، ولقنوهم أحكام الدين رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم(٦) أواجتهادا منهم (٧) .

كما كان أهل القيروان يسألون من عندهم من الصحابة فيما يشكل عليهم من أمور الدين ، فإن يزيد بن قاسط سأل عبد الله بن عمر (٨) ، كما روى عن ابن عمرَ ميسرةُ الزرودي (٩)، وجاء قوم إلى عبد الله بن عمر بإفريقية ، « فلما أرادوا أن يفارقوه قالوا : زودنا منك حديثا ننتفع به ... » (١٠) ، وقد دخل القيروان مئات من الصحابة ضنت المصادر بأكثرهم ، وقد وجدتُ بعد البحث والتتبع أنهم خمسة وأربعون صحابيا (١١) ، ثبتت

١- يشير بذلك إلى مارود من أن أبا زمعة البلوي صاحب النبي صلى الله عليه وسلم دفن بمقبرة القيروان ودفنت معه قلنسوته وفيها من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقاسمت المدينة بضم شيء من جسد الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولايعني ذلك أنها تقاسمها في الفضل الذي ثبت للمدينة شرعا كتضعيف ثواب الصلاة في مسجدها ، ومرقف الدجال منها ، وغير ذلك ، راجع عن بداية التعليق : المعالم ١/١٣، ٩٨ .

٢- انظر مناقب أبي إسحاق الجبنياني ٦٠ ، ٦١ ، حسن البيان ١٨٩ .

٣- أبو عبد الله محمد بن علي المصري ثم التوزري الإفريقي المعروف بابن الشباط أحد أعلام العلماء وصدور القضاة الفضلاء ، له تآليف مفيدة (٦١٦ - ٦٨١) ، الشجرة ١/ ٩١

٤- المؤنس لابن أبي دينار القيرواني ٢٠ . ٥- حسن البيان للشيخ محمد النيفر ١٨٩ . ٦- انظر : الرياض ١/ ٨١ ، ١٢٤ ، المعالم ١/ ١٢٣ .

٧- انظر : الرياض ١/ ١٢٤ . ٨- ط أبي العرب مع ٩١ . ٩- م . ن ٩٣ . ١٠- الرياض ١/ ١٣٧ . ١١- مدرسة الحديث في القيروان ٢/ ٤٦٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الرواية عن عشرة منهم بالإضافة إلى ثلاثة من المخضرمين وثمانية عشر من صغار الصحابة .

وقبل نهاية القرن الأول كثر المسلمون بإفريقية ، وأشكلت عليهم عدة أمور ، فجمعوا مسائلهم وأرسلوا بها خالد بن أبي عمران (ت حوالي ١٢٥هـ) ليسأل عنها التابعين في المشرق فدون عنهم كتابا كبيرا رواه أهل القيروان (١) ، ثم أرسل عمر بن عبد العزيز التابعين العشرة سنة ٩٩هـ لتفقيه أهل إفريقية فأشاعوا بالقيروان رواية علوم الكتاب والسنة ، وقد كثر عدد التابعين بالقيروان ، وتضافرت جهودهم مع هؤلاء العشرة على نشر العلم فتخرج على أيديهم أفواج من العلماء ، حيث دخلها عدة آلاف لم تهتم المصادر بتدوين أسماء جميعهم ، وقفتُ منهم على تسعة وأربعين ، استقرمنهم ثلاثون في القيروان ، وعاش الباقون فيها مددا متفاوتة لنشر العلم ثم غادروها إلى غيرها (٢) ،

إذن فقد كان الدين في المرحلة الأولى يؤخذ بالرواية المتعلقة بعلوم الكتاب والسنة ، وفتاوى الصحابة والتابعين ، « فكان المغاربة في صدر الإسلام لذلك على مذهب جمهور السلف من الأئمة واعتقادهم ، وهو المذهب الحق» (٣) . وعلى هذا تربى أهل القيروان فكانوا شديدي التعلق بالنصوص بعيدين كل البعد عن إعمال الرأي ، خاصة وقد رأوا المزالق التي أدّى إليها التأويل وما ساقه للبلاد من فتن .

وقد دخل القيروان مذاهب أخرى ، ولكنها سرعان ما اندثرت ولم يكثر الآخذون بها ، مثل : مذهب أبي عمر الأوزاعي (ت ١٥٧) ، وقد روى عنه بعض أهل القيروان (٤) ، ومذهب سفيان الثوري (ت ١٦١) وقد روى عنه كثير من أهل القيروان ، وسمعوا منه جامعيه الكبير والصغير ، وكان بعضهم يميل إلى رأيه (٥) ، ومذهب داود بن علي الأصبَهَانِيّ الظّاهري (ت ٢٧٥) ، أدخله أبو جعفر بن خيرون (٦) ، أما مذهب محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤) ، فكان حظه بالقيروان أكثر من سابقيه حيث مال إليه مجموعة من أهلها (٧) ، وصنف بعض علماء القيروان في الرد على مذهب الشافعي كتبا منها : كتاب « الرد على الشافعي لمحمد بن سحنون» (ت ٢٥٦) (٨)، وكتاب « الحجة في الرد على الشافعي فيما أغفل من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ليحيى بن عمر » (ت ٢٨٩) (٩) ، وكتاب « الرد على الشافعي لسعيد بن الحداد » (ت ٣٠٢)(١٠) ، أما أكثر المذاهب أتباعا بالقيروان فهما : مذهبا مالك وأبي حنيفة .

ويعتبر المذهب الحنفي أسبق المذاهب المشتهرة دخولا إلى القيروان ، وكان هو الغالب على أهلها قبل دخول المذهب المالكي (١١) ؛ باعتباره مذهب الدولة الرسمي .

وأول من أدخل مذهب أبي حنيفة إلى القيروان : عبد الله بن فروخ (١١٥-١٧٦) ؛ فإنه دوّن عن أبي حنيفة نحو عشرة آلاف مسألة قبل أن يصنف أبو حنيفة كتبه (١٢) ، ودخل بها القيروان ، وسمعها منه الناس ، ثم كان عبد الله بن غانم (١٢٨-١٩٠) -وقد لقى أبا يوسف صاحب أبي حنيفة- يخصص يوما في الأسبوع لتدريس

١- انظر : ط أبي العرب مح ٢٣٥ .
٢- مدرسة الحديث في القيروان ٢/٥٠٥.
٣- الاستقصاء ١/١٣٦ .
٤- انظر : الرياض ١/٢٤٧ ، ٣٠١، ٣٨٦، ورقات ١/٧٣ .
٥- انظر : الرياض ١/٢٠١، ط أبي العرب ٥٢، ٢٥١، ورقات ١/٧٣ ، الحياة الاجتماعية ٧٢ .
٦- انظر : ط الخشني ١٧٥، المدارك ١/٥٤، الصراع المذهبي ٩١ .
٧- المدارك ١/٥٤، ٤/٤١٥، ط الخشني ٢١٣، ٢١٤، ٢١٧، الصراع المذهبي ٨٧، الحياة الاجتماعية ٧١ .
٨- المدارك ٣/١٠٦ .
٩- منه نسخة مصورة بمكتبة القيروان رقم ١٢٨٨ - ١٣١٠، انظر : المكتبة الأثرية ٣٨ .
١٠- مخطوط مصور بالقيروان رقم ١١٥٦-١٢٢١، المكتبة الأثرية ٣٨.
١١- المدارك ١/٥٤، تاريخ معالم التوحيد ٨٨ ، ٨٩.
١٢- انظر : الرياض ١/١٨٠ .

كتب الأحناف (١) رغم أنه مالكي المذهب ، كما كان أسد بن الفرات يدرس كتب المذهبين (٢) وزاد إقباله على تدريس كتب الأحناف عندما ترك الناس "الأسدية" ، وأقبلوا على مدونة سحنون وبذلك شاع المذهب الحنفي وانتشر ، ثم ضعف عندما أقبل الناس على مذهب مالك ، إلا أنه عاد إلى الظهور في عهد العبيديين(٣)، وقد وجدت المناظرات ، وظهرت بعض المشاحنات بين أتباع الفريقين ، ولكنها تلاشت مع الزمن ، بل تحولت آخر القرن الرابع إلى ألفة وتعاون ، حيث قال المقدسي واصفا القيروان في هذه الفترة : «ليس فيها غير حنفي ومالكي مع ألفة عجيبة ، بلا شغب بينهم ولاعصبية ، لاجرم أنهم على نور من ربهم ، قد أقبلوا على ما يعنيهم وارتفع الغل من قلوبهم »(٤). ثم زالت أسباب وجود المذهب الحنفي في مطلع القرن الخامس فامحت آثاره من إفريقية ، وخاصة بعد ما ألزم المعز بن باديس (٤٠٧-٤٤٩) الناس بمذهب مالك حسما لمادة الخلاف في المذاهب (٥) .

ثالثا- القيروان : المركز الثاني للمذهب المالكي :

لقد تلقى أهل القيروان مذاهب السلف على يد الصحابة والتابعين ، وشاهدوا بأعينهم الفتن التي أدى إليها التأويل والبعد عن النصوص ، ولذلك فإنه ما إن أدخل علي بن زياد (ت ١٨٣) الموطأ إلى إفريقية وفسّر لهم قول مالك (٦) ولم يكونوا يعرفونه ، حتى أقبلوا عليه إقبالا منقطع النظير ؛ لأنهم وجدوا فيه ضالتهم المنشودة لجمعه بين البساطة والأصالة ، واعتماده على الحديث ، فإن صاحب هذا المذهب يدرس في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويلتزم النص من الكتاب و السنة ، ولايأخذ إلا عن الثقات ، وبرع في السنة حتى سمّي أمير المؤمنين في الحديث ، وهو إلى جانب ذلك شديد الورع لايفتي إلا بحذر شديد وينفر من الرأي والتأويل(٧) ، فلم يكن انتشار مذهب مالك في إفريقية بسبب السلطان كما ذهب إليه ابن حزم (٨) ، إذ «لو أن السلطان يقهر الأفكار على المبادئ لكان لسلطان العبيديين من اجتذاب الأفكار ما أبقى مذهبهم سائدا في الشمال الإفريقي» (٩) .

وإنما كان ميل الأفارقة إليه بسبب اعتماد صاحبه على الحديث وذلك ما ذهب إليه الشيخ الشاذلي النيفر أيضا فإنه علل اتّباع الأفارقة لمذهب مالك بأنه «مذهب بني على حديث أهل الحجاز (١٠) وهم الصفوة والكثرة من الصحابة والتابعين ، وإلى تعطشهم إلى الوصول إلى المذهب الذي تتمثل السنة النبوية في أقوى رجالها فيه ... » (١١).

وهناك أمر آخر يجدر التنبيه إليه ، وبه يكتمل هذا التعليل ، وهو التقدم الزمني للمذهب المالكي على

١- انظر : الحلل السندسية ٢٤٧/٤ .
٢- انظر الرياض ٢٦٦/١، ٢٦٧ .
٣- انظر : سير أعلام ٢١٦/١٤، المدارك ٥٤/١ .
٤- أحسن التقاسيم ٢٢٤.
٥- انظر : الاستقصاء ١٣٧/١ .
٦- الرياض ٢٣٤/١ .
٧- انظر : الفكر الإسلامي ٣٨٣/١، مقدمة الرياض لمؤنس ص ١١ فما بعدها.
٨- انظر : جذوة المقتبس ٣٦٠ .
٩- موطأ ابن زياد ٣٠، ٣١ .
١٠- الأولى التعميم لأن مالكا لم يقتصر على حديث أهل الحجاز ، ومن ذلك أنه حدث من طريق المصريين . انظر : الجرح والتعديل ٣١/١ .
١١- موطأ ابن زياد ٣١ .

غيره من المذاهب الأخرى المشتهرة بالاعتماد على الحديث، وبخاصة مذهب الإمام الشافعي ومذهب الإمام أحمد ، فكان الخيار أمام القرويين محصورا في المذهبين الحنفي والمالكي ، فتجنبوا الأول لاشتهاره بالميل إلى الرأي ، الذي كان سببا في الفتن التي عاشوها ، وأقبلوا على الثاني ؛ لاعتماده على الحديث وموافقة ذلك ما في نفوسهم من التعطش إلى السنة .ويأتي في الدرجة الثانية من التعليل ما ذهب إليه ابن خلدون (١) من أن رحلة أهل إفريقية كانت غالبا إلى الحجاز فاقتصروا على الأخذ عن علماء المدينة (٢)،وكذلك لمناسبة البداوة بين الشعبين .

وعلى يد علي بن زياد تخرجت الطبقة الأولى من علماء المالكية بالقيروان ، مثل : أسد بن الفرات ، والبهلول بن راشد ، وعبد الله بن غانم ، وغيرهم ، ثم تسارع أهل هذه الطبقة للأخذ مباشرة عن الإمام مالك ، حتى زاد الرواة عنه من أهل القيروان عن الأربعين (٣) ، وبذلك كثر رواة الموطأ بالقيروان ، وانتشر علم مالك ، فأقبل عليه الناس ووجدوا فيه الحصن الواقي من الاتجاهات الخارجية الخطرة التي كانت تجتاح البلاد .

ثم جاء الإمام سحنون فجمع في مدونته علم مالك وفقهه ، واستشهد لمسائلها بالآثار ، فأصبحت عمدة المذهب ، والكتاب الثاني بعد الموطأ، وقد أخذها عنه أهل أفريقية والمغرب والأندلس ، حتى بلغ تلاميذه نحو السبعمائة (٤) ، نشروا علم مالك في هذه البلاد ، قال الخشنيّ : « ثم قدم سحنون بذلك المذهب ، وجمع مع ذلك فضل الدين والعقل والورع والعفاف ، فبارك الله تعالى فيه للمسلمين ، فمالت إليه الوجوه وأحبته القلوب ، وصار زمانه كأنه مبتدأ ، وقد مُحي ما قبله فكان سراج القيروان (٥) ، وأقبل تلاميذ سحنون ومن بعدهم على التصنيف في المذهب واهتموا بالمدونة خاصة ، ما بين شارح ومختصر ومعلق ، ثم جاء ابن أبي زيد (٣٨٦) الملقب بمالك الصغير ، وعلى يديه استقر المذهب ، فهو الذي « لخص المذهب وضم نشره ، وذب عنه ، وملأت البلاد تآليفه» (٦) ، واستمر المذهب في نمو حتى صار في مطلع القرن الخامس هو المذهب الوحيد بإفريقية ، وهكذا أصبحت القيروان هي المركز الثاني للمذهب المالكي بعد المدينة المنورة ، وقد وجد أهل إفريقية في علماء هذا المذهب المثال الصادق للالتزام بالإسلام ، من التقوى والورع والقيام بالحق ، فهم كإمامهم مالك يكرهون مداخلة السلطان ، ويتعففون عن عطايا الأمراء ، ويقومون بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٧) ، مهما أدّى إليه ذلك من تضحيات ، فارتفعوا في أعين الناس إلى مقام الأولياء (٨) ، والتحموا معهم في جبهة قوية ، صمدت أمام ظلم العبيديين واستبدادهم ، وأمام أهل الأهواء والبدع ، حتى انتصروا للسنة ومذاهب السلف .

وقد بلغ فقهاء المالكية بالقيروان عدة مئات في كل طبقة ؛ فإن الذين تتلمذوا على سحنون وحده زادوا على السبعمائة (٩) ، وكذا تلاميذ ابنه محمد ، وتلاميذ ابن أبي زيد والقابسي وغيرهم ، وكان لأحمد بن عبد الرحمن الخولاني (ت٤٣٢) مائة وعشرون صاحبا كلهم من أئمة المذهب (١٠) .

١- المقدمة . ٤٤٩ .

٢- هذا الكلام ليس على إطلاقه فقد رحل أهل القيروان منذ وقت مبكر إلى العراق وخراسان والشام وغيرها . انظر : مدرسة الحديث في القيروان ١٩٨/١، ٤٢٣/٢ .

٣- انظر : المعالم ٨٣/٢ ، مدرسة الحديث في القيروان ٢٦٠/١ . ٤- انظر الشجرة ٦٩/١ . ٥- المعالم ٨٣/٢ . ٦- الديباج ١٣٧ .

٧- انظر : الرياض ٤٤٧/١ . ٨- مقدمة الرياض لمؤنس ١٤/١ م .

٩- انظر : الديباج ١٦٤، الشجرة ٦٩/١، سير أعلام ٦٨/١٢ . ١٠- المعالم ١٦٥/٣ .

وعلى أيدي هؤلاء الفقهاء تكونت مدرسة القيروان المالكية وبرزت ، وسمت ، وأصبحت بحق في الدرجة الثانية بعد المدينة المنورة في خدمة مذهب مالك ونصرته ، وكانت محط أنظار الدارسين في مختلف بلاد المغرب والأندلس الذين وفدوا عليها للأخذ عن شيوخها (١) ، وبلغت هذه المدرسة من الازدهار درجة عظيمة غطت على بقية العلوم التي ظهرت بالقيروان ، حتى ساد في الأذهان أن حذاق القرويين لاعناية لهم إلا بتحقيق الفقه (٢) ، وأن إفريقية ذات ثقافة فقهية خالصة (٣) ، والواقع أن مختلف العلوم قد ازدهرت بالقيروان وخاصة الحديث الذي كان وثيق الصلة بالفقه ومادة لمعظم العلوم لدى القرويين (٤).

رابعا- التواصل العلمي بين القيروان والمدينة المنورة :

تعتبر الرحلات العلمية في تراثنا الإسلامي شرفا ومفخرة يزهو بها أصحابها ، وأدبا ملازما لأهل العلم ، وعلامة على النبل والحذق والتفوق ، سنّها الصحابة الكرام وتلقاها عنهم التابعون ثم صارت من اللّوازم الأساسية للعلماء بل إن تركها منقصة ومذمّة (٥).

وقد عرف أهل القيروان أهمية الرحلة ولمسوا ضرورتها فتأدب بها علماؤهم ، وبخاصة عندما أحسوا بقلة منابع العلم في بلادهم بعد وفاة من عندهم من التابعين واستشهاد كثير من العلماء في الحروب مع الخوارج وغيرهم (٦)، فبدأ توجههم نحو المشرق لطلب العلم يتكثف ، وتسارعوا في شد المطايا إلى مختلف حواضر العالم الإسلامي لتوسيع معارفهم وإشباع نهمهم العلمي ثم العودة إلى بلدهم لتصدّر مجالسها العلمية .

ولم يكن الحج هو الدافع الوحيد لرحلات القرويّن بل كان طلب العلم غرضا مستقلا من أغراض الرحلة ، ومنهم من تعددت رحلاته لتكميل ما نقصه من العلوم في الرحلات السابقة (٧).

كما أن مدة هذه الرحلات كانت تتفاوت قصرا وطولا لتبلغ أحيانا سنوات عدة ، يطوف فيها المرتحل مختلف حواضر العلم ، فقد دامت رحلة أسد بن الفرات قريبا من عشر سنوات ، وارتحل سحنون لمدة خمس سنوات ، أما رحلة الإمام القابسي فقد قاربت مدتها الست سنوات (٨)

وقد غطت رحلة القيروانيين إلى المشرق كامل هذه القرون الأربعة ، ابتداء من أواخر القرن الأول غير أنها لم تكن دائما بنفس الكثافة ، لتأثرها الواضح بالظروف الصعبة التي مرت بها المنطقة من الحروب المتصلة وتسلط العبيديين على أهلها (٩).

وهذا واضح لمن تأمل كتب طبقات الأفارقة (١٠)، ومن هنا يُتحفظ على ماذهب إليه الأستاذ حسن حسني عبد الوهاب من أن حركة الارتحال إلى المشرق لم تدم إلا أكثر من مائة عام (١١)، وكذا ماذهب إليه الشيخ محمد الطاهر بن عاشور من أن الرحلة توقفت بعد عودة سحنون من المشرق سنة ١٩١ لاشتغال العلماء بالأخذ

١- انظر : سيرة القيروان ٢٣ . ٢- انظر : أزهار الرياض ٣/٢٦ . ٣- انظر : المدارس الكلامية ٧ . ٤- مدرسة الحديث في القيروان ١/١٧٦ .

٥- الرحلة في طلب الحديث ٨٩، علوم الحديث لابن الصلاح ٢٢٢، تدريب الراوي ٢/١٤٢ .

٦- انظر : البيان المغرب ١/٥٢، تاريخ الرقيق ١٠٩، ١٢٠، المعالم ١/٢٢٩ . ٧- مدرسة الحديث في القيروان ١/١٩٨، ١٩٩ .

٨- الديباج ٩٨، المدارك ١/٥٨٧، تذكرة الحفاظ ٣/١٠٧٩ . ٩- مدرسة الحديث في القيروان ١/١٩٩، ٢٠٣، ٢٠٧ .

١٠- مثل طبقات أبي العرب، طبقات الخشني، رياض النفوس، شجرة النور، معالم الإيمان ومواضع تراجم الأفارقة في ترتيب المدارك . ١١- بساط العقيق ٥٦ .

عنه (١)،فإن سحنون نفسه كان يشجع تلاميذه على الرحلة وفي مقدمتهم ابنه (٢)، وقد رحل القيروانيون إلى معظم عواصم المشرق ومدنه المشتهرة بالفقه والرواية ، إلا أن أكثر مقصدهم كان إلى المدينة المنورة (مركز مالك) ثم مصر (حيث نبهاء تلاميذ مالك) ، ومكة ، كما رحل كثير منهم إلى بلاد الشام والعراق واليمن وخراسان (٣). وفيمايلى نبذة عن التواصل العلمي بين القيروان والمدينة المنورة .

١- الرحلة من المدينة إلى القيروان:

إن مدرسة المدينة ممثلة في الإمام مالك ومنهجه وموطئه وتلاميذه المدنيين تعد أكثر المدارس المشرقية تأثيرا في مدرسة القيروان الفقهية المالكية ، ولاأكون مبالغا إذا أكدت أن القيروان كانت أقوى فروع المدرسة المالكية على الإطلاق ، وقد امتازت هذه الصلة وبخاصة من جهة القيروانيين بالكثافة والعمق وبعد الأثر ، وكان من نتائجها أن اختار أهل القيروان منهج مالك واعتمدوا مذهبه وخدموه وطوروه ونافحوا عنه .

ولم تكن رحلة أهل المدينة إلى القيروان كثيفة لعدم الحاجة ولكثرة الاضطرابات في بلاد المغرب وبخاصة في عهد بني عبيد وتنكيلهم بالمدنيين (٤)، ومع ذلك فقد وجد من ارتحل من أهل المدينة إلى القيروان ، بل كان لهذه الصلة بعدها التاريخي ، فقد دخل القيروان وعلّم أهلَها عدد كبير من التابعين المدنيّين مثل إسماعيل بن عبيد الأنصاري ، ومحمد بن أوس ، ويحي بن سعيد ، وعكرمة مولى ابن عباس الذي كانت له حلقة في جامع عقبة (٥).

ولعل هذه المعرفة للأفارقة والقيروانيين بتابعي المدينة هي التي جعلتهم يرسلون خالد بن أبي عمران ليسأل لهم أهلها (٦).

ثم أرسل عمر بن عبد العزيز إلى القيروان بعثته العلمية المكونة من عشرة من فقهاء التابعين ورواتهم لتفقية أهل القيروان وتعليمهم السنن والحكم بينهم بمقتضى ذلك(٧) .

وقد حرص كل عضو في هذه البعثة على القيام بهذه المهمة خير قيام فبنى كل منهم مسجدا لعبادته ومجالسه العلمية ، واتخذ بقربه كتّابا لتحفيظ القرآن وقد طال استقرارهم بالقيروان ، وانتفع أهلها بعلومهم ، وتخرج على أيديهم أفواج من العلماء ، بل إن صاحب رياض النفوس قد عدهم في الطبقة الأولى من علماء القيروان (٨)

ثم دخل إلى القيروان جماعة من المدنيّين منهم :

١- أحمد بن أبي بكر الزهري ، أبو مصعب (ت ٢٤٢) ، وهو أحد رواة الموطأ عن الإمام مالك ، وقد سمع منه جماعة من أهل القيروان وحملوا عنه روايته للموطأ، منهم : محمد بن سحنون ، وفرات العبدي (٩).

٢- أنس بن عياض الليثي (ت ٢٠٠) ، وهو صاحب رواية واسعة ، احتج به أصحاب الكتب الستة ، وقد أفاد منه أهل القيروان ، وكانت كتبه تروى عندهم ، وممن سمع منه : الإمام سحنون ، وزيد بن سنان الأسدي ، وموسى بن معاوية الصمادحي ، ومحمد بن تميم العنبري (١٠) .

١- أليس الصبح بقريب ٦٧ .
٢- انظر : المعالم ٨٣/٢، المدارك ٥٢١/١، الرياض ٣٥٣/١ .
٣- مدرسة الحديث في القيروان ١٩٨/١، ٤٢٣.
٤- انظر : إنباه الرواة ٥٤/٢، البيان المغرب ١٥٩/١ .
٥- انظر : مدرسة الحديث في القيروان ٥٢٣/٢، ٥٣٣ .
٦- الرياض ١٦٣/١ .
٧-٨- الرياض ٩٩/١، وانظر : مدرسة الحديث في القيروان ٥٠٨/٢، ٥١٤
٩- الرياض ٤٤٤/١، ط أبي العرب ٥٩ .
١٠- المعالم ٩٧/٣، المدونة ٢٨٤/٣.

٣- عبد العزيز بن يحي المدني (ت ٢٣٥) ، وهو أحد رواة الموطأ ، دخل القيروان سنة ٢٢٥ ، ومكث فيها سنة كاملة حتى استوعب القرويون السماع منه ، وحَملَ الموطأ عنه (١) .

٤- عبد الله بن نافع الصائغ (ت ٢٠٦) ، وقد تتلمذ عليه بالقيروان جماعة منهم : الإمام سحنون ، ومعاوية بن الفضل ، وغيرهما ، ورووا عنه الحديث وكثيرا من المسائل الفقهية (٢).

٥- علي بن يونس الليثي : وهو من تلاميذ مالك ، أقام بالقيروان وأفاد منه أهلها (٣).

٢- الرحلة من القيروان إلى المدينة المنورة.

لقد توطدت الصلات العلمية بين المدينتين في هذه الفترة وأثمرت تقدما علميا باهرا في مختلف العلوم ، حيث تلقى كثير من أهل القيروان عن كبار علماء المدينة وحملوا عنهم مروياتهم ومصنفاتهم ، ثم عادوا لنشرها في بلادهم وتصدروا مجالسها العلمية ، وعلى رأسها الموطأ الذي كثرت حفاوتهم به شرحا واختصارا وترجمة لرجاله ، واستخدموه في تأسيس قواعد المذهب وتنمية فقهه .

ويمكن تقسيم رحلة القيروانيين إلى المدينة المنورة في هذه الفترة إلى ثلاث مراحل : قبل ظهور إمامة مالك ، في حياة مالك وإمامته ، ثم بعد وفاة الإمام مالك .

أ- قبل ظهور إمامة مالك :

تفيد المصادر المتاحة أن أول رحلة علمية إلى المدينة المنورة كانت قبيل سنة ٩٤هـ (٤) ، أي قبل قدوم بعثة عمر بن عبد العزيز العلمية سنة ٩٩هـ بعدة سنوات ، وتاريخ هذه الرحلة مبكر جدا بالنظر إلى أوضاع إفريقية آنذاك (٥) ، وفي ذلك دلالة على ظهور العلم بإفريقة في تلك الفترة ، خاصة وأن هذه الرحلة مثلت توجها عاما لدى الأفارقة ، الذين أحسوا بحاجتهم إلى علوم أهل المشرق وروايتهم ، فجمعوا مسائلهم في مختلف أمور الدين ، وأوفدوا بها المحدث الفقيه خالد بن أبي عمران (ت ١٢٥ أو ١٢٩) ليسأل عنها أبناء الصحابة (٦) ، وإن الباحث ليعجب من سكوت المصادر عن مرافقي خالد في هذه الرحلة حيث يستبعد أن يكون قد ارتحل بمفرده .

وقد احتفظ لنا أبو العرب والمالكي بصورة عن هذه الرحلة حيث قالا : « وعن خالد بن أبي عمران أنه أتى القاسم (ابن محمد بن أبي بكر الصديق ت ١٠٦) ، وسالما (ابن عبد الله بن عمر ت١٠٦) بمسائل من المغرب ، فذهب يسائلهما عنها ، فأبيا عليه أن يجيباه ، فقال لهما خالد : « إنا بموضع جفاء ، وإنهم حملوني هذه المسائل ، وقالوا لي : إنك تقدم على المدينة ، وبها أبناء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلهم لنا ، وإنكما إن لم تفعلا كانت حجة لهم ، فما شئتما ، فقال له القاسم : «سل» ، فسألهما خالد فأجاباه فيما سألهما فيه ، وكثير منها (أي المسائل) في مدونة سحنون » (٧) وقد سأل أيضا سليمان بن يسار الهلالي (توفي بعد المائة وقيل قبلها) (٨) ، وهؤلاء الثلاثة من كبار علماء التابعين بالمدينة ، وقد عُدّ القاسم وسليمان من الفقهاء السبعة باتفاق ، وأما سالم فقد ألحقه بالسبعة عبد الله بن المبارك وغيره (٩)

١- شجرة النور ٥٧/١ . ٢- المدارك ٢٠٥/١ ، الشجرة ٦٩/١ . ٣- ط أبي العرب ١٥٩ . ٤- مدرسة الحديث في القيروان ٢٠٠/١ .

٥- انظر : مدرسة الحديث في القيروان ٤٢/١، ٥٦ . ٦- انظر : الرياض ١٦٣/١ . ٧- الرياض ١٦٣/١ ، ط أبي العرب ٢٤٦ ، وانظر : المدونة ٢٨/١ ، ٣٩٨ ، ٤٠/٢ . ٨- انظر : ط أبي العرب ٢٤٥ . ٩- انظر : علوم الحديث ٢٧٣، ٢٧٤، الباعث الحثيث ١٩٤، وانظر : تيسير مصطلح الحديث ٢٠٢ .

وقد دوّن خالد بن أبي عمران عن هؤلاء التابعين كتابا كبيرا أخذه عنه أهل إفريقية ، وكان يروى بالقيروان(١) ، وهو شبيه بالموطأ ؛ لأنه مبني على رواية الحديث بالإضافة إلى اشتماله على أصول فقهية (٢) ، وكان له أبعد الأثر في نشر فقه وحديث هؤلاء التابعين بإفريقية ، وتدعيم إقبال الأفارقة على التمسك بالسنة والتزام الآثار .

وفي مطلع القرن الثاني كانت القيروان تعج بالتابعين ، الذين قاموا بمهمة التعليم والرواية خير قيام ، وأغنوا الأفارقة عن ضرورة الارتحال لذلك ، وقد كان وجود التابعين بالقيروان مكثفا إلى حدود العقد الثالث من المائة الثانية (٣) ، ثم وجدوا بعد ذلك آحادا إلى حوالي سنة ١٤٤هـ (٤) ،

أما أشهر المرتحلين في هذه الفترة وأكثرهم إثراء للحياة العلمية بالقيروان فهو عبد الرحمن بن زياد الإفريقي (ت١٦١) ، وقد كانت رحلته قبل سنة ١١٨هـ ، وهو تاريخ وفاة شيخه عبد الله بن نسي (٥) ، وقد أخذ في هذه الرحلة عن كثير من التابعين ، ثم رجع إلى القيروان لينشر علمه رواية ودراية بين أهلها ، وقد تتلمذ عليه كثيرون ، وعرف له كتابان رواهما عنه أهل القيروان (٦) .

وقد عاد عبد الرحمن بعد ذلك إلى المشرق مرتين ، موفدا من أهل إفريقية إلى الخلافة بالمشرق ، للاستنصار بها على الخوارج ، وذلك سنة ١٢٢هـ وسنة ١٤٠هـ ، وقد جمع في هاتين الرحلتين بين الأخذ والعطاء ، فقد كتب عنه يحيى القطان وسمع منه سفيان الثوري وعبد الله بن وهب وغيرهم (٧) .

وفي هذا العهد أيضا رحل عبد الله بن علي الإفريقي قبل سنة ١٢٤هـ ، وهي السنة التي توفي فيها -على الراجح- شيخه محمد بن مسلم ين شهاب (٨) ، كما رحل عبيد الله بن زحر الكناني (٩) ، وكلاهما لم يعد إلى القيروان بعد رحلته حسب المادة المتوافرة حتى الآن ، بالرغم من أن الثاني معدود في شيوخ إفريقية (١٠) ، إلا أني لم أجد له تلاميذ من أهلها أو الوافدين عليها .

وقد أسهمت الحروب التي أثارها الخوارج ابتداء من سنة ١٢٢هـ (١١) في تعطيل الحركة العلمية ، والتقليص من عدد المرتحلين ، بالرغم من أن الحاجة كانت ماسة إلى ذلك ، خاصة ابتداء من العقد الرابع حين توفي معظم تابعي القيروان .

ب- في حياة مالك وإمامته :

ذاع أمر الإمام مالك بن أنس (ت١٧٩) ، وظهرت إمامته واشتهر بالاهتمام بالحديث الشريف ، والأخذ عن ثقات الرواة ووقوفه عند نصوص الكتاب والسنة ، وبعده عن الرأي ، وصونه للعلم ، وقد وافق ذلك مافي نفوس القرويين من التعطش إلى السنة والتزام الآثار فتوافدوا عليه لسماع حديثه (١٢) ، والتأدب بشمائله (١٣) التي توارثها أهل المدينة جيلا بعد جيل عن النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد بدأت صلة القرويين بالإمام مالك قبل سنة ١٤٥هـ ، وذلك عن طريق الوفد الذي تكون من عبد الله بن

١- انظر : ط أبي العرب ٢٤٥ .
٢- انظر : مقدمة الشيخ الشاذلي النيفر لموطأ مالك برواية ابن زياد ٢٤ .
٣- حيث إن حنظلة بن صفوان جمعهم واستنجد بهم لما ثارت عليه الخوارج سنة ١٢٤ ، انظر : الرياض ١٠٢/١، البيان المغرب ٥٩/١.
٤- انظر ط أبي العرب ٢١، البيان المغرب ٧٢/١ .
٥- انظر : التهذيب ١١٣/٥ .
٦- ط أبي العرب ٣٠ ، وانظر : دراسات في الحديث النبوي ١٨٤/١ .
٧- مدرسة الحديث في القيروان ٦١٥/٢ .
٨- انظر : التهذيب ٣٢٦/٥، ٤٥٠/٩، الكاشف ٨٥/٣، طبقات الحفاظ ٤٩، ٥٠ .
٩- الرياض ١٧٤/١ .
١٠- انظر : المعالم ٢٤٨/١ .
١١- ١٢- ط أبي العرب مع ١٣، أبو عبد الله الأبي ٩٠ .
١٣- انظر : مقدمة المدارك ٩ .

فروخ (ت١٧٦) ، والبهلول بن راشد (ت ١٨٣) ، وعبد الله بن عمر بن غانم (ت١٩٠) (١) ، وكان من حفاوة الإمام مالك بهم والعناية بأمرهم ما زاد في إقبال الأفارقة عليه (٢) .

ثم نمت هذه الصلة ، وخاصة بعد رحلة علي بن زياد الذي فسر للأفارقة قول مالك وأصوله ، وحدثهم بموطئه (٣) ، فكان من يسمع منه من طلبة العلم بالقيروان يعجب بهذا الإمام ، ويحرص على الرحلة إليه ، لينال بذلك علو الإسناد ، وشرف السماع المباشر من الإمام ، ولعل سرد أسماء هؤلاء التلاميذ مما تكتمل به صورة هذا التواصل العلمي .

(١)-الرواة عن الإمام مالك من أهل القيروان وإفريقية

ذكر الحافظ محمد بن حارث الخشني (٣٦١) أن عدد تلاميذ مالك من الأفارقة يزيد على ثلاثين رجلا ، وتناقل ذلك المصنفون (٤) ، وبعد البحث والتتبع في مختلف المظان ، وجدت أن عددهم يصل إلى أربعة وأربعين راويا ، منهم من بلغت شهرته الآفاق ، ومنهم من لم تفدنا المصادر المتوافرة بغير اسمه ، وسأذكرهم مرتبين على حروف المعجم ، مرجئا أسماء من ثبت تحملهم للموطأ إلى المبحث الموالي :

١- الأقرع بن بكار ، حدث عنه فرات العبدي ، قال أبو العرب : «ما علمت أحدا ذكره بسوء»(٥)

٢- البهلول بن راشد (ت ١٨٣) ، فقيه محدث ، أحد العباد (٦) .

٣- البهلول بن عمر بن صالح التجيبي (ت ٢٣٣ أو ٢٣٤) ، وهو فقيه محدث (٧) .

٤- حاتم بن عثمان المعافري ، مشارك في الفقه والحديث ، وكان هو الرسول بين مالك وبين عبد الله بن غانم قاضي القيروان (٨) .

٥- الحارث بن أسد القفصي ، وكان قد زامل عبد الرحمن بن القاسم وعبد الله بن وهب في الأخذ عن الإمام مالك ، ولم يكن له أثر علمي يذكر ؛ لأن مالكا قد أوصاه بتقوى الله وتلاوة القرآن ، ولم يوصه بنشر العلم ، فكان الحارث بعد ذلك يقول : « لم يرني أهلا للعلم »، ويرفض أن يفتي لأحد (٩) .

٦- خالد بن يزيد الفارسي : كان سماعه من مالك يسيرا ، وله رواية بالقيروان ، وثقه أبو العرب (١٠) .

٧- رباح بن ثابت الأزدي (ت٢٣٧) ، عنده فقه ورواية إلا أنه انقطع للعبادة (١١) .

٨- زرارة بن عبد الله (ت ٢٣٨وقيل ٢٣٣) : طالت ملازمته للإمام مالك ، وكان له أثر علمي في القيروان (١٢) ،

٩- زكرياء بن الحكم اللخميّ (ت٢٠٦) : سمع من مالك وغيره ، وكان يحدث ويفتي في القيروان (١٣)

١٠- زيد بن بشر الأزدي (ت٢٤٢) ، أصله من مصر ونزل إفريقية ، وكان يحدث بتونس ، ويرحل إليه القرويون للسماع منه (١٤) ،

١- انظر عن ترافق هؤلاء الثلاثة في رحلتهم وطلبهم في المشرق : الرياض ٢١٦/١، المدارك ٣١٧/١، المعالم ٣٠٤/١ .
٢- انظر : الرياض ١٧٧/١، ٢١٧ .
٣- انظر : المدارك ٣٢٦/١، الرياض ٢٣٤/١ .
٤- انظر : المعالم ٨٣/٢، الحلل ٧٧٥/٣/١ .
٥- ط أبي العرب مح ١٥٧ .
٦- ٧- ٨- انظر : مدرسة الحديث في القيروان ٥٦٠/٢، ٥٦٦، ٥٧١ .
٩- انظر : انظر المدارك ٤٩٠/١، تاريخ قفصة ١٠٩ .
١٠- انظر : ط أبي العرب مح ١٥٦، المدارك ٢٦٠/١ .
١١- الرياض ٢٨٣/١، أبو العرب ٧٦ .
١٢- المعالم ٦٥/٢ .
١٣- انظر : ط أبي العرب ٨٦، الرياض ٢٣٨/١ .
١٤- ط أبي العرب ٢٥٥، المدارك ١/ ٢٦١، (في الرواة عن مالك) ٩٨/٤ .

www.alukah.net

١١- سويد بن محمد القروي (١) .

١٢- شجرة بن عبد الله القيرواني (٢) .

١٣- صالح بن عبد الله القروي (٣) .

١٤- صقلاب بن زياد الهمداني القروي (ت١٩٣ وقيل ١٩١) : وهو فقيه محدث مقرىء (٤) .

١٥- العباس بن أشرس ، أبو مسعود التونسي ، وهو فقيه محدث حسن الضبط ، ثقة حافظ (٥) .

١٦- عباس بن الفارسي التونسي (ت٢١٨) : أحد كبار علماء إفريقية ، له رحلة ورواية واسعة ، وكان معروفا برواية الحديث وحفظه ، وكان ربما درس الكتاب ألف مرة (٦) .

١٧- عبد الرحمن بن الجهم الخولاني ، سمع الحديث بإفريقية والمشرق ، وحدث بالقيروان (٧) .

١٨- عبد الله بن أبي حسان اليحصبي (ت٢٢٧) ، وهو محدث فقيه لغوي ، عالم بالتاريخ واللغة ، وكان مالك يميل إليه (٨) .

١٩- عبد الله بن أبي غسان : حدث بالقيروان ، وكان يغرب عن مالك (٩) .

٢٠- عبد الله بن عثمان المعافري الأبزاريّ ، أبو طالب وكانت رحلته إلى مالك مبكرة ، وكان يحدث في حانوته بالقيروان (١٠) .

٢١- عبد الله بن فرّوخ الفارسي القروي (ت١٧٦) ، وهو من أوائل المرتحلين إلى مالك والمكثرين عنه، وكان مالك معجبا به ، وكان يكاتبه (١١) .

٢٢- عبد الله بن أبي كريمة التونسي (ت٢١٠ وقيل ٢٠٤) : سمع في رحلته حديثا كثيرا عن مالك وغيره ، سمع منه أهل إفريقية ، وقد أخرج له أبو داود في سننه ، اتفقوا على توثيقه (١٢) .

٢٣- عبد المؤمن بن المستنير الجزيري : سمع الحديث في رحلته من بقية بن الوليد ومالك وغيرهما ، وكان مقبلا على الرباط ، كثير الرواية لغرائبه (١٣) .

٢٤- علي بن يونس الليثي المدني ثم القروي : حدث بالقيروان عن مالك وغيره (١٤) .

٢٥- عمر بن الحكم اللخمي : حدث عن مالك و الأوزاعي (ت١٥٧)(١٥)

٢٦- عمر بن سمك بن حميد ، روى عن أبيه وعن مالك ، وسمع منه غير واحد من أهل القيروان (١٦) .

٢٧- عَنبَسة بن خارجة الغافقي (ت٢١٠) ، محدث فقيه لغوي عابد ، له سماع عن مالك كان يُروى بالقيروان كسماع ابن القاسم وأشهب (١٧) .

٢٨- أبو القاسم الزواوي ، حدث عن مالك بالقيروان ، وأغرب عنه بحديث (١٨) .

١- المدارك ٢٧٥/١ .
٢- انظر : المدارك ٢٧٥/١، (في الرواة عن مالك) .
٣- انظر : المدارك ٢٦٢/١ (في الرواة عن مالك) .
٤- انظر الشجرة ٦٢/١، الرياض ٢٣٠/١، المدارك ٢٦٢/١ (في الرواة عن مالك) .
٥- انظر : ط أبي العرب ٢٥٣، طبقات الفقهاء ١٥٢، الديباج ١٥٢ .
٦- انظر : ط أبي العرب ٢٥٤، الرياض ٢٤٨/١ ، البيان المغرب ١٠٥/١ .
٧- انظر : ط أبي العرب مع ١٥٧، المدارك ٢٦٩/١، (في الرواة عن مالك) .
٨- المدارك ٢٥٩/١، الديباج ٣٣ .
٩- انظر : ط أبي العرب ٧٧، الرياض ٢٤٠/١، اللسان ٣٢٥/٣ .
١٠- انظر : ط أبي العرب ١٠٠، الميزان ٤٦٠/٢ .
١١- انظر : ط الخشني ٢٣٥، المدارك ٣٣٩/١، الشجرة ٦٠/١ .
١٢- انظر : ط أبي العرب ٢٤٧، الرياض ٣٢٣/١، التهذيب ٤١٨/٦ .
١٣- انظر : ط أبي العرب ١١١، الرياض ٢٩١/١ .
١٤- انظر : ط أبي العرب ٧٩، الرياض ٢٩٢/١ .
١٥- الرياض ٢٤٧/١ .
١٦- انظر : ط أبي العرب مع ١٧٩، المدارك ٢٧١/١ (في الرواة عن مالك) .
١٧- انظر : الرياض ٢٤١/١، الديباج ١٦٨ .
١٨- انظر : الرياض ٢٤٨/١، اللسان ٩٤/٧، وفيه الردادى بدل الزواوي ، وهو تصحيف ظاهر .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٢٩- محمد بن الحكم اللخمي (ت٢٠٦) : محدث فقيه ثقة مأمون (١) .

٣٠- محمد بن عبد الأعلى الكندي ، أبو الخطاب (ت١٤٤) : سمع الحديث بإفريقية والمشرق ، وحدث بالقيروان ، وكان خارجيا إباضيا ، وثقه أبو العرب في علمه (٢) .

٣١- محمد بن عبد الله بن قيس الكناني ، أبو محرز ، القاضي (ت٢١٤) : كان له علم ورواية ، غير أن أثره كان قليلا ؛ لميله إلى الاعتزال (٣) .

٣٢- محمد بن يسوتا (ت ١٩٩) : سمع الحديث في رحلته ، وحدث بالقيروان (٤) .

٣٣- مُطرف بن الأقرع (٥) .

٣٤- معاوية بن الفضل الصمادحي (ت١٩٩) ، محدث فقيه فاضل ، معدود في شيوخ إفريقية (٦) .

٣٥- موسى بن عبد الله القروي (٧) .

٣٦- يحي بن زكرياء التجيبي (وقيل اللخمي) ، كان من ثقات القرويين وصلحائهم (٨) .

٣٧- يحيى بن سلام البصري نزيل القيروان (ت٢٠٠هـ) محدث ، مفسر ، مقرئ لغوي (٩) .

٣٨- يزيد بن محمد الجمحي (ت٢١٢) ، فقيه محدث واسع الرواية (١٠) .

فهؤلاء ثمانية وثلاثون من رجال إفريقية والقيروان رووا عن الإمام مالك ، ولم ينقل أنهم أخذوا عنه الموطأ ، وأما الستة الباقون فقد ثبت تحملهم للموطأ كما سيأتي .

(٢)-رواة الموطأ من الأفارقة :

لقد أدخل الموطأ إلى إفريقية ستة من أهلها بروايتهم عن الإمام مالك ، كما وجد فيها الموطأ بست روايات أخرى (١١) ، وفي مايلي أسماء الأفارقة والقيروانيين وقد رتبتهم حسب أسبقية تحملهم للموطأ فيما ترجح لدي :

- علي بن زياد التونسي (ت١٨٣) : وهو محدث واسع الرواية ، مع علم بنقد الرجال وضبط للرواية ، ونباهة في الفقه ، سمع بإفريقية والمشرق ، وله أثر كبير في الحياة العلمية بإفريقية ، وعليه تعلم شيوخ القرويين ، وهو مؤسس المدرسة المالكية في تلك الربوع ؛ لأنه أول من أدخل الموطأ إلى إفريقية بروايته عن مالك، وفسر لأهلها قول مالك وأصوله ، ولم يكونوا يعرفونها قبل ذلك (١٢) .

وإذا كانت المصادر قد ذكرت أن علي بن زياد هو أول من أدخل الموطأ إلى بلاد المغرب فإنها سكتت عن تحديد تاريخ رحلته أو تاريخ إدخاله للموطأ ، ويفترض أن تكون رحلته مبكرة ، لأنه لحق خالد بن عمران (ت ١٢٥ أو ١٢٩) وتتلمذ عليه (١٣) ، وقد كان من عادتهم الارتحال في مقتبل العمر إلا إذا حالت بعض الظروف دون ذلك ، ولعل هذا ماحصل لعلي بن زياد ؛ إذ لم أعثر في شيوخه على من كانت له وفاة مبكرة كما

١- انظر : ط أبي العرب مح ١٥٣، المدارك ١/ ٢٦٥ (في الرواة عن مالك) .
٢- انظر : ط أبي العرب ٨٧، الرياض ١/ ٢٥١ .
٣- انظر : المعالم ٢/ ٢٩، الديباج ٢٨٥ .
٤- ط أبي العرب مح ١٥٤، المدارك ١/ ٢٦٤ (في الرواة عن مالك).
٥- المدارك ١/ ٢٦٧ (في الرواة عن مالك)
٦- انظر : المعالم ١/ ٣١٧، الرياض ١/ ٢٣١ .
٧- المدارك ١/ ٢٦٥ (في الرواة عن مالك) .
٨- انظر : الرياض ١/ ٢٤٠ .
٩- الرياض ١/ ١٨٨، ط أبي العرب ١١١ .
١٠- انظر : المعالم ٢/ ٧٩، الرياض ١/ ٢٣٩ .
١١- انظر : مدرسة الحديث في القيروان ١/ ٢٧١ .
١٢- انظر : الرياض ١/ ٢٣٤، المدارك ١/ ٣٢٦ .
١٣- انظر : المدارك ١/ ٣٢٦ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هو الحال في شيوخ عبد الله بن فروخ (١١٥-١٧٦) الذي يقاربه في الطبقة (١) ، هذا إذا لم تكن المصادر قد أغفلت ذكر هؤلاء الشيوخ (٢) .

وأما إدخاله للموطأ فأغلب الظن أنه كان بين سنتي ١٥٧هـ و١٦١هـ ، فإن السنة الأولى تمثل تاريخ انتهاء مالك من تصنيف الموطأ (٣) ، وأما السنة الثانية فهي تاريخ وفاة شيخه سفيان الثوري (٤) ، هذا بالإضافة إلى أن أسد بن الفرات قد أخذ عنه الموطأ في حدود هذه الفترة أن بعدها بقليل (٥) .

ونظرا لأن علي بن زياد قد سمع الموطأ من الإمام مالك حال الفراغ من وضعه ، وأسرع بالعودة به إلى إفريقية ، فقد اعتبرت روايته له أول رواية للموطأ خارج المدينة المنورة ، بل « أول رواية ظهرت للموطأ على وجه الأرض » (٦) .

- عبد الله بن عمر بن غانم الرعيني (ت١٩٠) (٧) : وهو محدث فقيه تولّى قضاء القيروان ، وقد كان في طليعة المرتحلين إلى الإمام مالك وذلك قبل سنة ١٤٥هـ .

وقد ذكر عبد الله بن أبي زيد (ت٣٨٦) رواية أبي غانم للموطأ في كتابه الجامع (٨) ، وأشار إليها المالكي (٩) ، وصرح بها القاضي عياض (١٠) ، وذكرها ابن طولون في الفهرست الأوسط عند سرده لأسانيد الموطأ (١١) .

- أسد بن الفرات (ت ٢١٣) : سمع أسد الموطأ من علي بن زياد ، ثم رحل إلى المشرق سنة ١٧٢هـ وأخذ عن الإمام مالك الموطأ وغيره ، وحدث به في العراق ، ثم عاد إلى إفريقية سنة ١٨١هـ (١٢) .

- محمد بن معاوية الحضرمي الطرابلسي ثم القروي (١٣) : محدث ، فقيه ، ثقة ، مشهور ، وقد سمع منه القرويون ، ولم تذكر المصادر شيئا من تواريخ وفاته ورحلته ، وإنما ذكروا أنه «كان له سن وإدراك »، وصرحوا بسماعه للموطأ ، وذكر عياض عن المالكي أن موطأ محمد بن معاوية يمتاز على غيره من الموطآت باشتماله على جامع الجامع ، وليس ذلك عند أحد غيره من رواة الموطأ .

- عيسى بن شجرة التونسي : هذا العلَم من الأفارقة الكثيرين الذين انمحت آثارهم حيث لم توجد له ترجمة مستقلة مع أنه من رواة الموطأ كما ورد في تنوير الحوالك وغيره (١٤) ، وله سماع من الليث بن سعد (ت ١٧٥) ، وعبد الله بن لهيعة (ت ١٧٤) ، وقد ذكر ذلك القاضي عياض عرضا في ترجمة ابنه شجرة بن عيسى (ت ٢٣٢) (١٥) .

- خلف بن جرير بن فضالة القروي : فقيه محدث ثقة ، سمع من معظم شيوخ عبد الله بن وهب

١- انظر مدرسة الحديث في القيروان ٢/ ٧٤٠ . ٢- لقد لاحظ الشيخ الشاذلي النيفر أن ابن زياد لم ينل حظه من العناية اللائقة بعلمه قديما وحديثا . انظر : موطأ ابن زياد ٤٠ . ٣- لأنها سنة وفاة أبي جعفر المنصور حيث قال عياض : « فوضع الموطأ فلم يفرغ منه حتى مات أبو جعفر » . المدارك ١/١٩٢، وانظر : البيان المغرب ٧٩، شرح الزرقاني للموطأ ١/ ٧ . ٤- انظر : ط أبي العرب ٢٥١، التقريب ١/ ٣١١ . ٥- لأن أسدا ولد سنة ١٤٢هـ وكان يعلم القرآن ببعض القرى وسنه ١٨ عاما ثم انتقل إلى تونس ليسمع من ابن زياد . انظر مثلا : الرياض ١/ ٢٥٥، ولايصح ماذهب إليه الشيخ مخلوف من أن أسدا أخذ الموطأ قبل سن الثامنة عشر التي اعتبرها سنه عندما رحل إلى المشرق ، الشجرة ١/١١٩ وراجع ترجمة أسد في مدرسة الحديث في القيروان ٢/ ٥٥٠ .

٦- موطأ مالك برواية ابن زياد ٩ . ٧- انظر : ط أبي العرب ٤٣، الرياض ١/ ٢١٥، المعالم ١/ ٢٨٨، المدارك ١/ ٣١٦ . ٨- انظر : الجامع ١٦٣ .

٩- انظر : الرياض ١/ ٢١٧ . ١٠- المدارك ١/ ٣١٧ . ١١- نبه على ذلك الشيخ الشاذلي النيفر في مقدمته لموطأ ابن زياد ٨٠

١٢- انظر : ط أبي العرب ١٦٣، ط الخشني ٢٣٥، تنوير الحوالك ١/ ١٠، المعالم ٢/ ٣؛ الرياض ١/ ٢٥٤، الديباج ٩٨، موطأ ابن زياد ٧٣، ٨١ .

١٣- انظر : الرياض ١/ ١١٠، المدارك ١/ ٤٩٠موطأ ابن زياد ٨٢ .

١٤- تنوير الحوالك ١/ ١١، موطأ ابن زياد ٧٣، ٧٥، المدارك ١/ ٢٠٣ . ١٥- انظر : المدارك ١/ ٢٧٢، ٤/ ١٠١ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

(ت١٩٧) (١) ، وفي مقدمتهم الإمام مالك الذي أخذ عنه الموطأ (٢)، وهو أيضا ممن قل الاهتمام بتدوين أخبارهم ، حيث لم يترجم له غير أبي العرب .

(٣)- عناية مالك بالقيروانيين

كان الإمام مالك يدرك حاجة أهل القيروان إلى مزيد من الرعاية لبعد بلادهم عن منابع العلم ، ولكثرة ما ظهر به من فتن الخوارج الفارين من المشرق ، وكان يؤمّل أن يقوم المرتحلون إليه منهم بنشر العلم والمنافحة عن السنة ومقاومة البدع ، لما لاحظ عليهم من النباهة والحرص على الطلب ، ولهذا نجده يخصهم بمزيد من العناية أثناء وجودهم بالمدينة المنورة ، ويتعهدهم بالمراسلات بعد عودتهم ، ومن أمثلة ذلك مايلي :

١- قال المالكي في ترجمة عبد الله بن فروخ (ت ١٧٦) (٣) : « كان مالك يكرمه ويرى له فضلا ويقول لأصحابه : هذا فقيه أهل المغرب » ، ولما رجع ابن فروخ إلى القيروان ، استمرت صلته بمالك عن طريق المكاتبة ، من ذلك أنه كتب إلى مالك يخبره : « إن بلدنا كثير البدع وأنه ألف كلاما في الرد عليهم » فكتب إليه مالك : « إنك إن ظننت ذلك بنفسك خفت أن تزل أو تهلك ، لايردّ عليهم إلا من كان ضابطا عارفا بما يقول لهم ، ليس يقدرون أن يعرجوا عليه ، فإن هذا لابأس به ، وأما غير هذا فإني أخاف أن يكلمهم فيخطئ فيمضوا على خطئه أو يظفروا منه بشيء فيتعلقوا به ويزدادوا تماديا على ذلك » .

قال المالكي : « أشفق مالك رضي الله تعالى عنه أن يكون ذلك سببا لإظهار طريقة الجدل بإفريقية فيؤدي ذلك إلى أسباب يخاف من غوائلها ولايؤمن شرها فأراد حسم الباب » .

٢- وجاء في ترجمة عبد الله بن عمر بن غانم (ت ١٩٠) (٤) أن مالكا كان يجلسه إلى جنبه ، ويقول لأصحابه : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا جاءكم كريم قوم فأكرموه » ، وهذا كريم في بلده ، وكان من إعجاب مالك بابن غانم أنه عرض عليه أن يزوجه ابنته ، ولما ولي ابن غانم القضاء بالقيروان سر مالك بذلك ، وبشر به أصحابه ، وقال لهم : « أعلمتم أن الفتى الرعيني الذي كان يأتي إلينا قد استقضى على إفريقية » .

وكان عبد الله بن غانم يجمع بين الحين والآخر المسائل العويصة ويرسلها إلى مالك ليفتيه فيها (٥) .

٣- قال أسد بن الفرات (ت٢١٣) (٦) : « لما خرجت من المشرق وأتيت المدينة فقدمت مالكا ، وكان إذا أصبح خرج آذنُه فأدخل أهل المدينة ثم أهل مصر ، ثم عامة الناس ، فكنت أدخل معهم ، فرآى مالك رغبتي في العلم ، فقال لآذنه : أدخل القروي مع المصريين ، قال أسد : « فلما كان بعد يومين أو ثلاثة قلت له : إن لي صاحبين ، وقد استوحشت أن أدخل قبلهما ، فأمر بإدخالهما معي » .

٤- وجاء في ترجمة عبد الله بن أبي حسان اليحصبي (ت٢٢٧) (٧) أنه أحد الرّسل بين مالك وابن غانم ، وأن مالكا كان كثير الاعتناء به ، قال أبو العرب : « ورحل إلى مالك فكان عنده مكرّما » ، وقال ابن وهب « ما رأيت مالكا أميل إلى أحد منه لابن أبي حسان » .

١- انظر ط أبي العرب مع ١٥٦، وانظر عن ابن وهب : التهذيب ٧١/٦ . الزرقاني للموطأ ٦/١ .

٢- انظر : المدارك ٢٠٢/١، ٢٦٠، تنوير الحوالك ١٠/١، موطأ ابن زياد ٧٥، شرح

٣- الرياض ١٧٧/١ .

٤- انظر : الرياض ٢١٧/١، المعالم ١/ ٣٠٤، المدارك ٣١٧/١ .

٥- الرياض ٢٢٠/١ .

٦- المدارك ٤٦٦/١ .

٧- المعالم ٥٩/٢، المدارك ٤٨٠/١-٤٨١ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وكان ابن أبي حسان قد جعل لرجل كل يوم ثلاثة دراهم حتى يحجز له مكانا في مجلس مالك قريبا من الإمام حتى لايفوته شيء من كلامه .

٥- ذكرت المصادر أن حاتم بن عثمان المعافري قد رحل إلى مالك مع ابن غانم ثم كثر تردده عليه بعد ذلك ، لأنه كان الرسول بين ابن غانم وبين مالك(١) .

قال ابن أبي حسان : « سمعت مالكا يقول : أهل الذكاء والذهن والعقول من أهل الأمصار ثلاثة ، المدينة ثم الكوفة ، ثم القيروان » .

ج-بعد وفاة الإمام مالك :

استمرت صلة أهل القيروان بالمدينة بعد وفاة مالك (ت١٧٩) على كثافتها في حياته حيث قصد أهلها تلاميذ الإمام يتتبعون ما تركه من العلم ، وكان الإمام سحنون (ت ٢٤٠) يسميها « عش مالك » حاثا تلاميذه على الرحلة إليها والاستفادة من علمائها ، ومشجعا لهم على تقصي فقه مالك ومحاولة إدخال الجديد منه إلى القيروان ، من ذلك قوله لابنه :«إنك تقدم طرابلس وفيها رجال مدنيون ، ومصر وبها الرواة ، والمدينة وهي عش مالك ، ثم تقدم مكة فاجتهد جهدك ، فإن قدمت علي بلفظة خرجت من دماغ مالك ليس عند شيخك أصلها فاعلم أن شيخك كان مفرطا » (٢) .

وبعد وفاة مالك بسنة واحدة وصل المدينة عون بن يوسف الخزاعي (ت٢٣٩) ، وهو من فقهاء القيروان ، وأدرك بها أربعين رجلا من معلمي ابن وهب منهم عبد الرحمن بن زيد أسلم (٣) .

وكان من أبرز المرتحلين في هذه الفترة الفقيه المحدث موسى بن معاوية الصمادحي (ت٢٢٥) ، الذي رحل سنة ١٨٤هـ ، ودامت رحلته خمس سنوات دخل فيها طرابلس ومصر والمدينة ومكة والبصرة والكوفة وبغداد وبلاد خراسان ، وأخذ في كل بلدة عن كبار علمائها ، وحمل الحديث والفقه بالمدينة عن جماعة من أبرع تلاميذ مالك منهم : أنس بن عياض (ت٢٠٠) ومعن بن عيسى (ت١٩٨) (٤) .

كما رحل الإمام سحنون (ت ٢٤٠) لمدة خمس سنوات محاولا استقصاء علم مالك من مظانه ، حيث التقى بثلاثة وعشرين من كبار محدثي المشرق وفقهائه ، وأعاد سماع الأسدية على عبد الرحمن بن القاسم الذي أجابه عن مسائلها بقول مالك ، ثم ذيل معظم مباحثها بالآثار وأعاد تصنيفها ، وسميت المدونة ، وتلقاها أهل القيروان وإفريقية بالقبول بعد نفورهم من الأسدية لخلوها من الأثر ، حيث قالوا لأسد : «أجئتنا بـ: أخال ، وأظن وأحسب ، وتركت الآثار وماعليه السلف » ، فلما أكمل سحنون ذلك نالت المدونة حظا عظيما من القبول ، وأصبحت هي المصدر الثاني للفقه المالكي بعد الموطأ (٥) .

وقد شهدت هذه المرحلة والمرحلة السابقة كثافة في الرحلة إلى المشرق عامة وإلى المدينة خاصة ، وبدت ثمارها تظهر جلية في ازدهار الحياة العلمية بالقيروان ، حيث كثر العلماء وظهرت التصانيف المختلفة ، ولذلك نجد أن النصف الثاني من القرن الثالث قد شهد تقلصا في عدد المرتحلين لانكباب أهل القيروان على سماع وتدوين علوم من عندهم من الفقهاء والمحدثين والقراء (٦) .

١- انظر : الرياض ٢٣٢/١، المعالم ٣١٣/١، ط أبي العرب ٧١ . ٢- انظر : المدارك ٥٢١/١، المعالم ٨٣/٢، الرياض ٤٤٤/١ . ٣- المدارك ٦٢٧/١ .
٤- انظر : المعالم ٥١/٢، الشجرة ٦٨/١ . ٥- انظر : المدارك ٤٦٩/١، ٥٨٥، المعالم ١١/٢، الرياض ٣٤٥/١ . ٦- انظر مدرسة الحديث في القيروان ٢٠٦/١.

وهذا لايعني انعدام الصلات العلمية لجلب مصنفات المشارقة ومايستجد من علومهم ، ومن أشهر المرتحلين في هذه المرحلة :

- محمد بن سحنون (ت ٢٥٦) الذي أخذ بالمدينة عن يعقوب بن حميد ، وغيره ، كما سمع بمصر ومكة وغيرهما (١) .

- أحمد بن معتّب (ت ٢٧٧) ، الذي أتحف أهل القيروان بجملة من مصنفات المشارقة ، منها الزهد والرقائق لعبد الله بن المبارك ، وكتب أبي الحسن الكوفي العجلي (ت ٢٦١) ، أحد كبار نقاد الحديث العالمين برجاله (٢) .

- يحي بن عمر (ت ٢٨٩) الذي أخذ عن جماعة من علماء المدينة ، وأدخل إلى القيروان عدداً وافراً من المصنفات ، منها : تفسير غريب الموطأ للأخفش ، ومسند أسد بن موسى ، وكتاب الزهد لابن رزق (٣) .

- عيسى بن مسكين (ت ٢٩٥) ، أحد كبار فقهاء القيروان ومحدثيها ، وقد سمع بالمدينة من الزبير بن بكار ، وغيره ، وأدخل إلى القيروان مسند ابن سنجر وجامع عبد الله بن وهب ، وغيرهما (٤) .

- مالك بن عيسى (ت ٣٠٥) ، وقد أقام في رحلته إلى المشرق عشرين سنة ، طوف خلالها مختلف عواصم العلم ، قال القاضي عياض : «ورحل في طلب الحديث ، وطاف بلاد المشرق ، يقال أقام بها عشرين سنة ، ولقي علماء الأمصار والصلحاء والزهاد ، وجالسهم وأكثر الرواية » (٥) .

وفي القرن الرابع كان العبيديين يجثمون على صدر إفريقية ، وقد منعوا العلماء من نشر علم أهل السنة عامة ، وفقه مالك خاصة ، وضيقوا على الناس في أمور معيشتهم ، وتسببوا في أخذ أموالهم بكل سبيل ، فكان ذلك سببا في تخفيف الرحلة إلى المشرق ، لأن العلماء رأوا أنه لايسعهم في تلك الظروف إلا الحضور ، ومواجهة ضلال الإسماعيلية حتى لايكفر العامة ، يضاف إلى هذا الضرائب التي وضعها العبيديون على الحجيج والتجار (٦) ، فقل عدد المرتحلين في هذا القرن ، ومن هؤلاء :

- مسرة بن مسلم الذي رحل سنة ٣٠٠ ، وسمع من الإمام النسائي (٧) .

- ربيع القطان (ت ٣٣٣) وقد رحل مرتين ، وجمع بين الفقه والحديث والتفسير ، وكان ينشر العلم في بيته خوفا من تسلط الرافضة ، ثم قتل في الحرب التي قادها علماء القيروان ضد بني عبيد (٨) .

- محمد بن مسرور (ت ٣٤٦) ، وهو فقيه محدث ، أخذ بالمدينة عن علي بن العزيز ، وقد فتح بيته للطلبة وانتفع به أهل القيروان (٩) .

- عبد الله بن أبي هاشم التجيبي (ت٣٤٦) ، وهو محدث فقيه صالح ، أفاد في رحلته علما كثيرا نشره بالقيروان (١٠) .

- عبد الله بن أبي زيد القيرواني (ت ٣٨٦) ، الملقب بمالك الصغير ، فقيه القيروان في زمانه ، وبالغ

١- انظر : الشجرة ١/ ٧٠، المدارك ٣/ ١٠٤، المعالم ٢/ ١٢٢ .
٢- انظر : المدارك ٣/ ٢٣٠، المعالم ٢/ ١٧٧ .
٣- انظر : كتاب أحكام السوق ٨١-٨٣، الرياض ١/ ٤٩٠، الشجرة ١/ ٤٩٠ .
٤- انظر : المكتبة الأثرية ٣٤، الديباج ١٧٩، المدارك ٣/ ٢١٢ .
٥- المدارك ٥/ ١٢٤، الشجرة ١/ ٨٠، ط الخشني ١٧٤ .
٦- انظر : مدرسة الحديث في القيروان ١/ ٢٠٧ .
٧- المدارك ٣/ ٥٣٣ .
٨- ط الخشني ١٧٦، المدارك ٣/ ٣٢٣، المعالم ٣/ ٣٠ .
٩- الشجرة ١/ ٨٥، المعالم ٣/ ٥٩ .
١٠- الديباج ١٣٥، المكتبة الأثرية ٣٤، الشجرة ١/ ٨٥

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

.درجة الإجتهاد في مذهب مالك .

وقد عاد من رحلته بنفائس المرويات والمصنفات ، وسرعان ما ظهرت إمامته بعد عودته ، ورحل إليه الناس من الآفاق ، وزادت مصنفاته على الثلاثين (١) .

وفي بدايات القرن الخامس قُطعت دعوة الرافضة رسميا بالقيروان على يد المعز بن باديس (٤٠٧-٤٤٩) الذي ألزم الناس بمذهب مالك حسما لمادة الخلاف ، مما أوغر صدور العبيديين بمصر فخططوا للكيد الذي انتهى بخراب مدينة القيروان سنة ٤٤٩هـ (٢) .

وقد رحل في هذه الفترة جماعة من أهل القيروان إلى المدينة المنورة ، منهم :

- أبو الحسن علي بن محمد القابسي (ت ٤٠٣) المحدث الفقيه الأصولي ، الذي نال شرف إدخال صحيح البخاري إلى بلاد المغرب لأول مرة ، بالإضافة إلى مصنفات أخرى مثل : المنتقى في السنن المسندة لابن الجارود ، ومسند الأوزاعي لدحيم ، وسنن النسائي ، وقد قاربت مؤلفاته العشرين ، وانتهت إليه إمامة أهل القيروان في الفقه والحديث (٣) .

- محمد بن تميم حفيد أبي العرب (ت ٤١٧) ، وهو محدث ، عالم بالرجال والتاريخ ، مع مشاركة في الفقه ، وقد طاف بلادا كثيرة في طلب العلم ، منها المدينة ومكة ومصر والشام (٤) .

- موسى بن عيسى (ت ٤٣٠) ، وهو فقيه ، محدث ، أصولي بارع ، زاد شيوخه على ستة وثلاثين من مختلف البلدان ، قال له أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني : «لو اجتمعت في مدرستي أنت وعبد الوهاب بن نصر -وكان إذ ذاك بالموصل- لاجتمع فيها علم مالك ، أنت تحفظه وهو ينصره ، لو رآكما مالك لسرّ بكما»(٥) .

- عثمان بن أبي بكر الصفاقسي (ت٤٤٤) ، وهو محدث فقيه لغوي ، تجول في كثير من بلدان المشرق حيث سمع بمكة والمدينة والعراق ومصر وأصبهان ، وكان له أثر كبير في نشر العلم بالقيروان (٦) .

ومن الجدير بالذكر التنبيه إلى أن رحلات القيروانيين إلى المدينة المنورة لم تكن للأخذ فقط ، حيث نجد منهم من حدث وأسمع في رحلته ، مثل البهلول بن راشد (٧) ، وعبد الله بن غانم (٨) ، وأملى محمد بن سحنون بالمدينة مسائل فقهية (٩) .

آمل أن أكون بهذا قد أوضحت بعض الجوانب المهمة في موضوع الصلات العلمية بين المدينة المنورة ، والقيروان أيام حضارتها الأولى ، سائلا المولى عز جل الإخلاص والقبول ، وهو ولي النعمة والتوفيق .

١- المعالم ١٠٩/٣، المدارك ٤٩٢/٣، الديباج ١٣٦ .
٢- انظر : مدرسة الحديث في القيروان ٨٤/١ .
٣- المعالم ١٣٤/٣، تذكرة الحفاظ ١٠٧٩/٣ .
٤- المعالم ١٥٨/٣، الصلة ٥٦٧/٢ .
٥- المدارك ٣٠٤/٣، المعالم ١٦٠/٣؛ الشجرة ١٠٦/١ .
٦- الشجرة ١٠٩/١، جذوة المقتبس ٣٠٤، الصلة ٣٨٧/٢ .
٧- انظر : الحلل السندسية ٧١٣/٣/١ .
٨- الجرح والتعديل ١١٠/٥ .
٩- المدارك ١١٥/٣ .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مراجع البحث

- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، شمس الدين بن عبد الله الشامي المقدسي المعروف بالبشاري ، مطبعة بريل ، ليدن ، ١٩٠٦م .
- أحكام السوق ، يحيى بن عمر الأندلسي ثم الإفريقي (ت ٢٨٩هـ) ، تح ، ح ، ح . عبد الوهاب ، مراجعة فرحات الدشراوي ، الشركة التونسية للتوزيع ، ط١، ١٩٧٥م .
- أزهار الرياض في أخبار عياض ، أحمد بن محمد المقّري التلمساني ، تح مجموعة من علماء المغرب، مطبعة فضالة بالمغرب .
- الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ، أحمد بن ناصر السلاّوي ، تح ولدي المؤلف ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ١٩٥٤م .
- أليس الصبح بقريب ، محمد الطاهر بن عاشور ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ١٩٦٧م .
- إنباه الرواة على أنباه النحاة ، لأبي الحسن علي بن يوسف القفطي ، تح محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الكتب المصرية ، ط١، ١٣٧١هـ .
- الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث، أحمد محمد شاكر ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط٢ .
- بساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق ، ح.ح عبد الوهاب ، مكتبة المنار بتونس ، ط٢، ١٩٧٠م .
- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، لابن عذارى المراكشي (ت ٧٠٦هـ)، الدار العربية للكتاب ، بيروت، ط٣، ١٩٧٣م .
- تاريخ إفريقية والمغرب، أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم الرقيق القيرواني (ت بعد ٤١٧هـ)، تح المنجي الكعبي ، مطبعة الوسط ، تونس ١٩٦٨م .
- تاريخ قفصة وعلمائها ، مقالات لجماعة من الباحثين، دار المغرب العربي، تونس، ط١، ١٩٧٢م .
- تاريخ معالم التوحيد في القديم والجديد ، محمد بن الخوجة ، المطبعة التونسية ، ط١، ١٣٥٨هـ .
- تدريب الراوي شرح تقريب النواوي للحافظ جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، تح عبد الوهاب عبد اللطيف ، دار إحياء السنة النبوية ، بيروت، ط ٢، ١٣٩٩هـ .
- تذكرة الحفاظ للحافظ محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، لبنان.
- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، القاضي عياض بن موسى اليحصبي (ت٥٤٤هـ)، ط بيروت، وط المغرب .
- تقريب التهذيب ، ابن حجر (ت ٨٥٢هـ)، تح عبد الوهاب عبد اللطيف ، دار المعرفة بيروت ، ط٢، ١٣٩٥هـ .
- تنوير الحوالك شرح موطأ مالك ، الحافظ جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار الندوة الجديدة بيروت لبنان .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- تهذيب التهذيب لابن حجر (ت ٨٥٢هـ)، دائرة المعارف النظامية، الهند ١٣٢٥هـ .
- تيسير مصطلح الحديث، د. محمود الطحان ، دار القرآن الكريم ، بيروت ط٢ ١٤٠١هـ .
- الجامع في السنن والآداب والمغازي والتاريخ، أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني (ت٣٨٦هـ)، تح محمد أبو الأجفان ، عثمان بطيخ، مؤسسة الرسالة بيروت ، المكتبة العتيقة تونس ، ط١ ١٤٠٢هـ .
- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس ، وأسماء رواة الحديث ، وذوي النباهة والشعر، لأبي عبد الله محمد بن فتوح الحميدي (ت ٤٨٨هـ) ، مكتب نشر الثقافة الإسلامية القاهرة (د.ت)، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٩٥٣م .
- الجرح والتعديل الحافظ عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ) مطبعة دائرة المعارف الهندية، ط١ ، ١٣٧١هـ .
- حسن البيان عما بلغته إفريقية في الإسلام من السطوة والعمران ، محمد النيفر ، المطبعة التونسية ، ١٣٥٣هـ .
- الحلل السندسية في الأخبار التونسية ، محمد بن محمد الأندلسي ، الوزير ، السراج، (ت ١١٤٩هـ) الدار التونسية للنشر ١٩٧٠م .
- الحياة الاجتماعية بالقيروان وموقف سعيد بن الحداد منها، د. عبد المجيد بن حمدة، رسالة ماجستير بجامعة الجزائر .
- دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه ، د. محمد مصطفى الأعظمي ، شركة الطباعة العربية السعودية، الرياض ، ط٣، ١٤٠١هـ .
- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم بن علي بن فرحون اليعمري (ت ٧٩٩هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت .
- الرحلة في طلب الحديث لأبي بكر أحمد بن علي ، الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣) ، تح د. نور الدين عتر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٣٩٥هـ .
- رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم، ونساكهم، وسير من أخبارهم، وفضائلهم، وأوصافهم، لأبي بكر عبد الله بن محمد المالكي (ت بعد ٤٦٤هـ) .
- سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، مؤسسة الرسالة ، ط١ ١٤٠٢هـ .
- سيرة القيروان ، محمد العروسي المطوي، الدار العربية للكتاب ، ١٩٨١م .
- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، محمد بن محمد مخلوف، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان .
- شرح الزرقاني على الموطأ، محمد الزرقاني ، دار الفكر ١٣٣٥هـ .
- الصراع المذهبي بإفريقية، عبد العزيز المجذوب، الدار التونسية للنشر .
- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وقضاتهم وأدبائهم، أبو القاسم خلف بن عبد الملك، ابن بشكوال (ت ٥٧٨هـ)، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٧٤هـ .
- طبقات الحفاظ ، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

- طبقات الفقهاء، إبراهيم بن علي الشيرازي، أبو إسحاق (ت ٤٧٦هـ)، تح د. إحسان عباس، دار الرائد، بيروت، ط٢، ١٤٠١ هـ .

- طبقات علماء إفريقية، محمد بن حارث الخشني (ت ٣٦١هـ)، تح محمد بن أبي شنب، كلية الآداب بالجزائر، ١٩١٥م .

- طبقات علماء إفريقية (وتونس)، أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم (ت ٣٣٣هـ) .

- أبو / عبد الله الأبي وكتابه الإكمال، عبد الرحمن عون ، الدار العربية للكتاب، ط١، ١٩٨٣م .

- علوم الحديث ، المعروف بمقدمة ابن الصلاح ، للحافظ أبي عمرو عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري ، ابن الصلاح (ت ٦٤٣هـ) ، تح د. نور الدين عتر ، المكتبة العلمية، ط١، ١٤٠١هـ .

- الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي ، محمد بن الحسن الحجوي (ت ١٣٧٦هـ)، المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ١٩٧٧م .

- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة ، الحافظ الذهبي (ت ٧٤٨هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ .

- لسان الميزان، الحافظ ابن حجر (ت ٨٥٢هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط٢، ١٣٩٠هـ .

- مدرسة الحديث في القيروان من الفتح الإسلامي إلى منتصف القرن الخامس الهجري، د. الحسين شواط، الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، الرياض ط١، ١٤١١هـ .

- المدارس الكلامية بإفريقية إلى ظهور الأشعرية، د. عبد المجيد بن حمدة، دار العرب، تونس، ط١، ١٤٠٦هـ .

- المدونة الكبرى، الإمام سحنون بن سعيد التنوخي (ت ٢٤٠هـ): دار الفكر، دار صادر بيروت، مطبعة السعادة، مصر .

- معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، عبد الرحمن بن محمد الأنصاري الدباغ (ت ٦٩٦هـ)، أكمله أبو القاسم بن عيسى بن ناجي (ت ٨٣٩)، مكتبة الخانجي بمصر، المكتبة العتيقة تونس ، ط٢، ١٣٨٨هـ .

- المكتبة الأثرية بالقيروان، محمد البهلي النيال ، دار الثقافة، تونس ، ١٩٦٣م .

- موطأ مالك ، قطعة منه برواية علي بن زياد (ت ١٨٣هـ) ، تح الشيخ محمد الشاذلي النيفر، دار الغرب الإسلامي بيروت ، ط٤ ، ١٤٠٢هـ .

- المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ، أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني ، المعروف بابن أبي دينار، تح محمد شمام ، المكتبة العتيقة ، تونس ، ط٣ ، ١٣٨٧هـ .

- ميزان الإعتدال في نقد الرجال ، الحافظ الذهبي (ت ٧٤٨هـ) ، تح علي البجاوي ، دار المعرفة بيروت، ١٣٨٢هـ .

- ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية ، حسن حسني عبد الوهاب ، مكتبة المنار ، تونس ، ط٢ ، ١٩٧٢م ، ١٩٨١ن .

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فهرس المحتويات

صلة القيروانيين بالمدينة المنورة

الموضوع	الصفحة
أولا : مكانة القيروان	١
ثانيا : القيروان قبل ظهور مذهب مالك	٢
ثالثا : القيروان : المركز الثاني للمذهب المالكي	٤
رابعا : التواصل العلمي بين القيروان والمدينة المنورة	٦
1- الرحلة من المدينة إلى القيروان	٧
2- الرحلة من القيروان إلى المدينة المنورة	٨
أ- قبل ظهور إمامة مالك	٨
ب- في حياة مالك وإمامته	٩
(١) الرواة عن الإمام مالك من أهل إفريقية والقيروان	١٠
(٢) رواة الموطأ من الأفارقة	١٢
(٣) عناية مالك بالقيروانيين	١٤
ج- بعد وفاة الإمام مالك	١٥